المحور الثاني عشر: التقويم التربوي البيداغوجي: تعريفه وأنواعه: تشخيصي ، تكويني ، تحصيلي، وكيفياته تقويم المنهاج (الكتاب المدرسي)، تقويم ممارسات التعليم / التعلم. والغرض من ذلك.

مقدّمة:

التقويم التربوي البيداغوجي هو عملية مركزية في التعليم؛ فهو ليس مجرد اختبار في نهاية وحدة، بل أداة ديناميكية لفهم مدى تحقُّق الأهداف التعليمية، تقييم جودة المنهاج، وتحسين ممارسات التعليم والتعلّم، ومن منظور نفسي — تربوي، يوفّر التقويم معرفة مهمة عن نقاط القوة والضعف لدى المتعلّمين، ويسمح باتخاذ قرارات بيداغوجية تصحّح المسار وتُعزّز الفعالية التعلمية.

أولًا: تعريف التقويم التربوي البيداغوجي

- التقويم التربوي هو عملية منهجية تهدف إلى جمع وتحليل معلومات كمية ونوعية حول تعلم المتعلمين من أجل إصدار أحكام تتعلق بجودة التعلم واتخاذ قرارات مناسبة لتحسينه.
- هو ليس مجرد قياس، بل يشمل الحكم والتعديل، بمعنى أنه جزء من العملية التربوية المستمرة وليس نقطة نهائية فقط.
- التقويم البيداغوجي يدمج بين مهام جمع المعلومات (قياس) وتحليلها ثم إصدار توصيات أو قرارات لتحسين التعلم أو المنهج أو الممارسات التعليمية.

ثانيًا: أنواع التقويم التربوي

تقسيم التقويم التربوي البيداغوجي حسب الوقت والوظيفة يشمل غالبًا:

1. **التقويم التشخيصي (Diagnostic / التمهيدي):**
   - يُجرى في بداية عملية التعلم أو قبل وحدة جديدة.
   - الهدف منه تحديد مستوى المتعلمين: ما الذي يعرفونه مسبقًا، ما المهارات التي يمتلكونها، وما الفجوات.
   - يمكّن المعلم من تخطيط التدريس بناءً على ما يحتاجه التلاميذ فعلاً، وليس انطلاقًا من فرضيات.
   - أمثلة: اختبار قبلي(pre-test) ، مقابلة، استبانات أولية، ملاحظة.

2. **التقويم التكويني (Formative / بنائي):**
   - يحدث أثناء عملية التدريس والتعلّم، وليس في نهايتها.
   - الغرض: تقديم تغذية راجعة فورية للمعلم والطالب لتحسين عملية التعليم والتعلّم، وتصحيح المسار إذا لزم الأمر.
   - غالبًا ما يكون منخفض المخاطر(low-stakes) ، ولا يهدف لتصنيف نهائي بل لدعم النمو.
   - أدواته: نقاش صفّي، استجابات سريعة(exit tickets) ، خرائط المفاهيم، الملاحظة، التقييم الذاتي.
3. **التقويم التحصيلي / الختامي (Summative / تحصيلي):**
   - يتم في نهاية وحدة، فصل، أو برنامج دراسي لتقييم مدى تحقُّق الأهداف التعليمية.
   - الهدف منه إصدار حكم شامل: ما مدى اكتساب المتعلّم للمعارف والمهارات التي تم تدريسها؟
   - غالبًا ما يكون مرتفع المخاطر(high-stakes) : درجات، امتحانات نهائية، مشاريع ختامية.
   - أمثلة: امتحانات نهاية الوحدة، أوراق بحث، عروض المشاريع...

ثالثًا: كيفيات (طرق) التقويم التربوي البيداغوجي

فيما يلي بعض كيفيات أو طرائق تطبيق التقويم في المنهج وفي ممارسات التعلم:

1. **تقويم المنهاج (الكتاب المدرسي / المنهج)**
   - تقييم جودة المنهج من وجهة نظر المعلمين يشمل تحليل محتوى المنهج (الموضوعات، التمارين، الأنشطة)، مدى ملاءمته لأهداف التعليم، وتوزيع المهارات والقيم.
   - الاستبيانات، مقابلات المعلمين، ورش عمل لتعديل المنهج بناءً على التغذية الراجعة من التقويم.
2. **تقويم ممارسات التعليم / التعلم**
   - تقييم أداء المعلم: كيف يدير الصف، ما استراتيجياته، كيف يقدّم التغذية الراجعة، وكيف يُشرك التلاميذ.

- تقويم المعلمين في التعليم الإلكتروني: هناك دراسات تقيم ممارسات التعليم عن بعد وتطويرها.
- تقويم بديل (Alternative Assessment) اعتماد وسائل واقعية للتقييم مثل السجلات القصصية(anecdotal records) ، ملاحظة الأداء في مواقف حقيقية، ومشاركة الطلاب والمعلم في التقييم.
- التغذية الراجعة المستمرة للمعلم بناءً على نتائج التقويم لتطوير ممارساته بمرور الوقت.

رابعًا: الغرض من التقويم التربوي البيداغوجي

- **دعم التعلّم:** من خلال التقويم التشخيصي والتكويني، يمكن للمعلم تخصيص الدعم للتلاميذ بناءً على احتياجاتهم، ما يحسّن فرص التعلّم.
- **تحسين جودة المنهاج:** التقييم الدوري لمنهج الدراسة يساعد في اكتشاف نقاط الضعف — محتوى، تنظيم، تمارين — وإعادة تصميمه ليكون أكثر فاعلية.
- **تطوير ممارسات المعلم:** من خلال تقييم ممارسات التعليم والتلقّي، يمكن تقديم تغذية راجعة للمعلم لمراجعة طرق التدريس وتحسينها.
- **اتخاذ قرارات تربوية:** سواء على مستوى المدرسة (هل نغيّر المنهج؟)، أو مستوى التلميذ (من يحتاج دعمًا إضافيًا؟)، أو مستوى المراجعة الشاملة للنظام التعليمي.
- **ضمان الجودة:** التقويم هو وسيلة لجودة التعليم، لأنه يساعد على التحقق من مدى تحقيق الأهداف التربوية، ومراقبة الأداء، وتصحيح المسار.
- **المسائلة والشفافية:** من خلال التقرير عن نتائج التقويم (خاصة التقويم التحصيلي)، يمكن للجهات التربوية (إدارة المدرسة، أولياء الأمور، النظام التعليمي) فهم مدى النجاح أو الحاجة إلى التغيير.

أمثلة:

1. **في صف اللغة العربية:** المعلم يبدأ السنة باختبار تشخيصي ليتعرف إلى مستوى التلاميذ في القراءة والكتابة، ثم خلال السنة يستخدم بطاقات خروج (exit tickets) كل درس لمعرفة مدى استيعابهم (تقويم تكويني)، وفي النهاية يجري امتحان تحصيلي لتقييم المهارات المكتسبة.
2. **تقويم المنهاج:** لجنة من المعلمين تُقيّم الكتاب المدرسي بعد سنة من الاستخدام، تستخدم استبيانات ومعايير مثل وضوح اللغة، تمارين التمرين، الصور، تدرج الصعوبة، لتحديد ما ينبغي تغييره في الطبعة القادمة.

3. **تقييم ممارسات المعلم:** مدير المدرسة أو زميل معلم يزور الصف لتقييم التفاعل، طريقة إدارة الدرس، التغذية الراجعة للطلاب، ويقدّم نصائح لتطوير أسلوب التدريس (مثلاً إدراج أسئلة تفاعلية أكثر، تنظيم مجموعات عمل).

الخاتمة:

التقويم التربوي البيداغوجي ليس وظيفة ثانوية أو تكميلية في العملية التعليمية، بل هو عنصر أساسي لبناء تعليم فعّال ومستدام، من خلال التنوع في أنواعه — التشخيصي، التكويني، التحصيلي — يمكن للمعلمين والمؤسسات التربوية ليس فقط معرفة ما إذا كان التلميذ "ناجحًا" فقط، بل أيضًا فهم كيفية دعمه بشكل أفضل، وكيفية تحسين المنهج، وكيفية تطوير ممارسات التدريس، عند تنفيذ التقويم بفعالية، يصبح التعليم أكثر جودة، وأكثر ملاءمة لحاجات التلاميذ، وأكثر قدرة على التكيّف مع التحديات التربوية.